الفيلسوف هيرقليطس (Heraclitus ٥٤٠-٤٧٥ ق .م) (١)

الأستاذة : مها عيسى العبدالله

٢٠٢١/٥/١٧

- قبل التطرق لفلسفة هيرقليطس نذكر بعض المسائل المهمة عنه والتي دون شك تعرفنا به ومنها :
- ١ – هو فيلسوف ينتمي لأسرة أرستقراطية هذا الانتماء جعله يبتعد عن العامة ، وينتقد ممارساتها في الحياة ، فهو ينتقد ويحتقر الطقوس ا الدينية للعامة وعاداتها وتقاليدها . وعليه فهو ينتقد هوميروس وهزيود لأنهما كما يعتقد كانا السبب في نشر الأكاذيب والخرافات بين العامة . ولذلك نراه يسخر من العامة فيشبهها تارة بالأطفال وأخرى بالكلاب وغيرها من التشبيهات التي تعكس لنا اعتداده بنفسه .
- ٢ – لقد اختلفت بشأنه الآراء فمنهم من يرى في فلسفته امتداد لفلسفة المدرسة الملطية ومنهم على سبيل المثال زيلر (Zeller) وكذلك بيرنت (Burnet) . بينما يرى آخرون أنه فيلسوف لا ينتمي للنظرة العلمية التي ميزت فلسفة فلاسفة المدرسة الملطية ، ومن هؤلاء على سبيل المثال كورنفورد (cornford) وبرتراند رسل (Bertrand Russell). وكما نرى أنه وضع ضمن فلاسفة المدرسة الأيونية فقط لأنه قال بمادة واحدة لأصل الوجود وهي النار ،كما قال بذلك فلاسفة هذه المدرسة ، واختلفوا بشأن هذه المادة .
- ٣ – كان يحتقر ممارسة العلم التجريبي ولهذا لم يجري التجارب كما كان يفعل فلاسفة المدرسة الملطية . ولذلك انتقد بعض الفلاسفة لاشتغالهم بالعلم الجزئي ومنهم فيثاغوراس ، فالعلم الجدير بالإهتمام هو العلم الذي يبحث بالمجردات ، بالمعاني الكلية العقلية .لأن البحث بهذه المواضيع يضفي عليها الفخامة والغموض والإكثار من الإشارات والرموز . ولهذا لقب بالفيلسوف الغامض . وقد عبر هو عن إسلوبه ذلك بقوله :" إنه لا يفصح عن الفكر ولا يخفيه ولكنه يشير إليه "

فلسفة هيرقليطس (٢)

الأستاذة : مها عيسى العبدالله

٢٠٢١/٥/١٧

نبدأ محاضرتنا عن فلسفة هيرقليطس بمناقشة أولاً قوله بالتغير وثانياً قوله أن النار هي المبدأ الأول للوجود.

في المسألة الأولى وهي التغير يؤكد هيرقليطس أن كل شيء في حالة سيلان دائم .فكل شيء في حالة تغير دائم سوى قانون التغير ذاته. فالتغير هو قانون الوجود ولولا هذا التغير لم يكن هناك شيء .فالإستقرار كما يرى موت .

فالتغير هو صراع بين الأضداد ليحل بعضها محل بعض . فالصراع دائم مستمر بين الحياة والموت ، والليل والنهار والصحة والمرض ،والخير والشر وهكذا ، فإذا وجدت الحياة غاب الموت ، وإذا ظهر الليل اختفى النهار ، وإذا وجدت الصحة فالمرض غائب . وهكذا يستمر الصراع بين الأضداد ليقضي بعضها على بعض .فالماء يحيا بموت التراب والعكس صحيح .فكل شيء يحيا بقضائه على غيره ويموت حينما يقضي عليه غيره ، فلولا هذا الصراع لما كانت الحياة ولما كان الموت .

ونتساءل كيف عرف أو استدل هيرقليطس على قانون التغير ؟

لقد استدل هيرقليطس على ذلك من خلال :

١ – جريان الماء في النهر ، حيث رأى أن مياه النهر في حالة تغير دائم لذلك يقول : " أنت لا تنزل النهر الواحد مرتين فأن مياهاً جديدة تجري من حولك أبدا" أي أن مياه النهر الذي نزلته تجري باستمرار فهي ليست ذات المياه التي نزلتها قبل دقائق أو ساعات أو أيام ... الخ

فلسفة هيرقليطس (٣)

الأستاذة مها عيسى العبدالله

٢٠٢١/٥/١٧

- ٢ – اضطرام النار ، أي اشتعال النار . وهذه أحب لهيرهليطس من الصورة الأولى ،.ربما لأنه فيلسوف عقلي يميل إلى التجريد ، كما أن النار أسرع حركة وأدل على التغير .
- نلاحظ هنا أن هيرقليطس عرف هاتين الصورتين ،اعتماداً على الملاحظة وهذا يجعله يساير المدرسة الأيونية في منهجها الذي اعتمده فلاسفتها وهو الملاحظة أو المشاهدة والتجربة ، صحيح أنه كان يحتقر كما ذكرنا التجريب لكن كما يبدو أنه اعتمد على الملاحظة .
- أما لماذا قدم لنا صورتين : مياه النهر واضطرام النار ، فالجواب كما نرى لأنه فيلسوف ارستقراطي ، يباعد بينه وبين العامة لذلك فقوله بمياه النهر كما نرى أراد به العامة التي تستدل على ذلك بهذه الصورة . واضطرام النار أراد به الخاصة التي تميل للعقل وكل ما هو مجرد .

فلسفة هيرقليطس (٤)

الأستاذة : مها عيسى العبدالله

٢٠٢١/٥/١٧

- بعد الحديث عن قول هيرقليطس بالتغير ،ننتقل لمناقشة قوله أن النار هي المبدأ الأول لأصل الموجودات .فهي المبدأ الذي تصدر عنه الأشياء وتعود اليه ، وهذا يعني أن أي موجود من الموجودات يفنى وتبقى النار خالدة حيث يعود بعد موته إلى أصله الأول وهو النار .
- وتتصف هذه النار بكونها نار إلهية لطيفة وحية وعاقلة ، كما إنها أبدية فهي حياة العالم وقانونه (لوغوس) .
- وهو كما ذكرنا من الفلاسفة الذين قالوا بوحدة الوجود . والتي تعني أن الموجودات وخالقها شيء واحد . لكننا نرى أن هذه الوحدة ناقصة ، لأن هيرقليطس قد فصل بين النار الإلهية والتي تمثل (زيوس)والنار المحسوسة التي تكونت منها جميع الموجودات . صحيح أن النار هي المبدأ الأول لجميع الموجودات ، لكن الموجودات المحسوسة لم تتكون مباشرة من النار الإلهية بل تكونت منها بصورة غير مباشرة ، حيث أُصيبت النار بضعف فتحولت إلى نار محسوسة ومن هذه النار تكونت الموجودات .
- وعملية تكون الموجودات تتم بطريقين كما هو الحال مع أناكسيمينس بالتخلخل والتكاثف . يزداد تخلخل النار فتتكون الأجسام النارية أي موجودات العام السماوي ، وتتكاثف

فلسفة هيرقليطس (٥)

الأستاذة : مها عيسى العبدالله

٢٠٢١/٥/١٧

- النار فتصبح ماء ويتكاثف الماء فيصبح تراباً ويزداد تكاثف التراب ليصبح صخوراً وجبالاً وهكذا . فالعام كما يرى هيرقليطس كان وكما هو كائن وسيكون هو نار حية ، وهذه النار تستعر بمقدار وتنطفئ بمقدار . وهذه النار كما ذكرنا تمثل (زيوس zeus).
- كما لاحظنا أن الموجودات تكونت من النار بعد ، أن اصيبت بضعف أو وهن ، لتتحول إلى نار محسوسة منها نشأت الموجودات . أما لماذا أصيبت النار بهذا الوهن ؟ فهيرقليطس لا يبرر لنا لماذا حدث ذلك . وكما يبدو إنه كان مضطراً للقول بهذا ، فلو لم يحدث ذلك لما نشأت الموجودات . وربما لأنه فيلسوف كما ذكرنا ينتمي لأسرة أرستقراطية ، فكان يباعد بيه وبين العامة ، فكيف يقبل أن يكون أصل الآلهة والموجودات شيء واحد. وهذا الفصل بين الآلهة والموجودات جعل وحدة الوجود لديه ناقصة كما ذكرنا سابقاً .